

التنظيم الانقلابي

ان الصفة المميزة للبعث العربي هي انقلابيته، اذ قد توجد احزاب تهدف الى تحقيق بعض مبادئ البعث العربي او كلها ولا تكون انقلابية لأنها لا تكون صادقة في تبنيها تلك المبادئ ومحاولتها تحقيقها. فالبعث العربي، لا يفترق عن الاحزاب الرجعية فحسب، تلك الاحزاب التي تقاوم عن وعي وتصميم الدولة العربية الموحدة الاشتراكية التقدمية بل يفترق ايضاً عن الاحزاب التقدمية الزائفة التي تدعي ان بإمكانها تحقيق الوحدة والحرية والاشتراكية، او بعضاً من هذه الاهداف عن غير طريق الانقلاب. فالانقلاب في البعث العربي ليس هو الطريق الصحيحة لتحقيق مبادئه فحسب بل هو أيضاً محك واختبار لصدق تلك المبادئ واخلاص معتنقيها. وكما ان الانقلابية تفرض نوعاً معيناً من العمل في الوسط الخارجي السياسي والاجتماعي فهي تفرض كذلك نوعاً معيناً من التنظيم والسلوك في داخل الحزب. فالحزب الذي ينبري لمقاومة الاحزاب الرجعية والاحزاب التقدمية الزائفة، لا يستطيع ان يؤدي مهمته الا باتباع اسلوب صارم شديد يضمن له وحدة الاتجاه وتماسك العمل وقوته. ولقد ادت حركة البعث العربي للقضية العربية حتى الآن خدمتين كبيرتين، الاولى توضيح الاهداف العربية الصحيحة وما بينها من ترابط ووحدة، والثانية توضيح الطريق الصحيحة التي تضمن تحقيق هذه الاهداف. وقد امتلأ الجو العربي بهذه الافكار النظرية والعملية التي نشرها البعث العربي، ولكن بقيت المهمة الثالثة والاكثر خطورة من سابقتها وهي خلق الأداة الفعالة الصادقة الملائمة لحمل الاهداف العربية والسير بها في طريق الانقلاب. ويمكن القول بأن عمل البعث العربي كان اكثره حتى الآن مقتصرأ على التوجيه، اي على تهيئة الجو الخارجي والاستعداد الفكري والنفسي لتقبل الفكرة. ولكن دور العمل الخاص بالبعث العربي كحركة منظمة تضم افراداً مؤمنين منسجمين ما زال ينتظر التنفيذ.

ان تحقيق الانقلاب العربي المنشود رهن بتجسيد الروح الانقلابية في نفوس اعضاء البعث العربي وعقولهم، وان انضمام الافراد الى حزب البعث العربي لايعني

خروجهم من الواقع الفاسد وتهيؤهم لمحاربتة والظفر عليه الا اذا تجسدت الروح الانقلابية في فكرهم وسلوكهم . فاذا لم يتحقق هذا الشرط الاساسي بقي انفصالهم عن الوسط الخارجي شكلياً وانتماؤهم الى الحركة الانقلابية سلبياً، اذ لا قيمة لمبادئ يعتقدونها ولا يتحملون تبعاتها ومنطقها العملي الدقيق . وليس البعث العربي مدرسة فكرية حتى يكفي باعلان حقيقة آمن بها، وانما هو حركة رسالتها النضال في سبيل ظفر هذه الحقيقة .

ان التنظيم الانقلابي هو الذي يضمن تحقيق هذا الانفصال الحاسم بين الواقع الفاسد ونفسيته المنفعلة واخلاقه النفعية وعقليته الرجعية، وبين حركة الانقلاب أي الجيل العربي الجديد المتحرر من كل هذه الامراض . ومهمة هذا التنظيم الاساسية هي التوفيق والتوحيد بين غايتين تبدوان في الظاهر مختلفتين متناقضتين، خلق الفرد العربي الذي هو أساس الجيل الجديد، الفرد الواعي المسؤول المؤمن، ثم جعل هذا الفرد أداة فعالة صادقة في الحركة التي ستغير تاريخ أمته . وكما أن كل اهمال لايقاظ الوعي والمسؤولية الاخلاقية والايمان الروحي في نفس هذا الفرد ينتقص من انتمائه للحركة الانقلابية وانسجامه معها، فكذلك كل تهاون في ضبط هذا الفرد في منطق القدر التاريخي الذي يرتب عليه ان يكون اداة منفذة لهذه الحركة يجعل منه عنصر عرقلة وهدم وتخريب . هذا التوفيق بين الغايتين هو الذي يجعل الفرد العربي عضواً بعثياً .

الحركة الانقلابية مسؤولة عن تهيئة ادوات صادقة للانقلاب، أي عن انسجام اعضائها مع نظرتها ومبادئها، وبهذا المعنى نقول ان لا فرق بين الغاية والوسيلة وان الوسيلة جزء متصل بالغاية نابع منها، وأنها ليست مجرد طريق تختاره للوصول الى الغاية بل اشعاع من الغاية يعين لنا الطريق الموصل اليها . والحركة مسؤولة بالدرجة نفسها عن نجاحها في اداء مهمتها، أي عن ضرورة تماسكها ووحدتها واطراد نموها واتساعها، والتنظيم المطلوب هو الذي يضمن للحركة وحدتها واتساعها، مع بقاء العقلية والاخلاق والروح الانقلابية مسيطرة عليها .

للحركة الانقلابية كما ذكرنا نوعان من الاعداء، العدو السافر وهو كل الفئات

والاحزاب الرجعية (والرجعية تشمل الرجعية السياسية والفكرية والاقتصادية) والعدو المقنع وهو الاحزاب والفئات القومية التقدمية الزائفة، لذلك كان عليها واجبان: المحافظة على اتجاهها الفكري، والمحافظة على اتجاهها العملي. فكل تساهل او انحراف في المبادئ يوقعها في شرك الرجعية، كما أن كل تساهل أو انحراف في اسلوب العمل يهددها بالتجزئة والتناثر. فالتنظيم المطلوب هو الذي يقيها هذين الخطرين فيضمن ثبات الفكرة ووحدة الحركة.

ان التنظيم الملائم للحركة الانقلابية هو الذي يستمد من تعريفها، فهي حركة تاريخية فاصلة يتوقف على نجاحها مصير ملايين العرب وبقاء الامة العربية. ان الحركة الانقلابية لاتزال في بدء تكوينها وأولى مراحلها، أي أنها نواة صغيرة جداً في كيان الأمة الكبير، ومع ذلك فهي مسؤولة عن هذا الكيان كله. لذلك فهي تنظم سيرها لا بالنسبة الى واقعها الحاضر بل بالنسبة الى هدفها البعيد النهائي، وهذا هو معنى مثاليتها. ومثالية البعث العربي ليست من قبيل التصوف الروحي او التخرج الاخلاقي او الفكري النظري، وانما هي تقدير المسؤولية القومية التي تجعل كل خطوة من خطى المعركة ذات اثر بعيد في مصير الأمة كلها.

حمص، ٢٣ شباط ١٩٥٠